حديث الإفك

obeikandl.com

obeikandl.com

حديث الافك هو حديث القصة التى اشاعها بعض المنافقين من السيدة عائشة (رضى الله عنها) وعلى راسهم عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المدينة الموتور الذى لم ينس قط حقده على النبى ولا على الاسلام والمسلمين

وحديث الافك هذا هو الحديث الذى اجتمعت له كل بواعث الفضول والوشاية التى تغرى السنة الناس بالخوض فى امثال هذه الأحاديث ، ولو كانت من نسج الخيال واختراع القصاص

فمن دأب الناس قديما ان يتطلعوا الى الأسرار ، ويكثروا القيل والقال فى الوشايات

وهم اشد تطلعا اليها وكلفا بالقيل والقال فيها اذا اشتملت على وشاية من وشايات الرجال والنساء ، ولولا كلفهم بهذا لما اخترعت لهم القصص والروايات التى يقرأون فيها أخبار رجل لا وجود له وامرأة لا وجود لها ، وهم يعلمون أنهما من نسج الخيال

ولكنهم اشد من ذلك تطلعا اليها وكلفا بالقيل والقال فيها اذا هى تعلقت بعظماء الرجال وعظماء النساء

ثم يبلغ التطلع اشده والكلف حده اذا كان لأحد من الناس

غرض فى ترويج الاشـــاعة واللغط بها ، والاسترسال فى ذيولها وحواشيها

فاذا كان هذا الغرض على اتصال بالعصبيات القومية والعقائد العامة التى تصطرع حولها الاهواء وتضطرم فيها الضغائن ويطول فيها جـدل المصدقين والمكذبين ، ونزاع المحبين والمبغضين . فقد اجتمعت للقصـــة ـ كما قلنا فى صدر هذا الفصل ـ كل بواعث الفضول والوشاية، وأحاطت بها كل مغريات اللغط والتشهير

وهذا الذى حدث بحذافيره فى حديث الافك الذى تولى كبره زعيم الخزرج فى المدينة عبد الله بن ابى بن سلول

فهو حديث وشاية عن رجل وامراة

وهما اعظم الرجال واعظم النساء

وفى اللغط به غرض قوى لاكبر زعماء الخزرج فى زمانه ، وغرض قوى لكل من يبغى المساس بالنبى ، وبالاسلام كله من طريق المساس بنبى الاسلام

ولولا ذلك لما سمع بحديث الافك ، ولا استحق ان يصغى اليه ، لأنه اوهى واسخف من ان يطول فيه تصحيح وتفنيد

وكأى من رئيس فى قومه وتر كمـــا وتر ابن ســـلول ، واشتمل قلبه على البغض كما اشتمل قلب ابن سلول على بغض النبى ، واحب ان يهدم دعوة من الدعوات كما احب

ابن سلول أن يهدم دعوة الاسلام . ولكنه مع كل هذا يتورع عن رجم المحصنات بالباطل ويمسك لسانه عن الخوض فى وشايات الدنس لأنها مسبة لا تجمل بمروءة الكرام

الا ان ابن سلول لم يكن من هؤلاء الرؤساء المتورعين المترفعين ، ولم يكن له من اخلاقه ما يعصمه ان يكذب وان ينافق وان يداهن ، وان يصطنع الوشاية ويلغ فى الاعراض، لانه كان مطبوعا على النفاق مشهورا بين اصحابه وخصومه على السواء

كان زعيم الخزرج بالمدينة فكان ينافس زعماء الأوس بها فى ارضاء النبى والتزلف اليه ، ثم يخلو باعداء الاسلام فيؤلبهم على المسلمين ويسول لهم قتل النبى ويوغر صدورهم على هذا الدين الجديد ، وكل منتصر له وكل منتسب اليه

وقبيل حديث الافك بأيام قليلة كانت فئة من الأنصار والمهاجرين تستقى ، فتنازع رجلان منهما على الماء كما يحدث على كل بئر وفى كل مورد يكثر حوله القصاد . فلم يدعها ابن سلول تنقضى دون ان يثير فيها الثائرة التى ود أن تعصف بالمسلمين اجمعين . وقال مستهولا : او قد فعلوها ؟ والله ما أرانا وجلابيب قريش هذه الا كما قيل : سمن كلبك ياكلك . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن

الأعز منها الأذل . واقبل على من حضره من قومه يحرضهم ويقول لهم : هذا ما فعلتم بانفسكم . . . احللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم اموالكم . واما والله لو امسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم !!

ونمى الحديث الى النبى عليه السلام ، فأسرع اليه ابن سلول يقسم ويبالغ فى القسم انه ما نبس بحرف منه

فالخوض فى الوشايات والولوغ فى الاعراض هو اشبه شىء بأخلاق هذا الرجل الذى مرد على النفاق واصبح وامسى حياته كلها بين الدس والاختلاق ، وله من الوتر العظيم الذى وتر به شفيع عند طبعه السقيم ، لانه اضاع الملك والتاج بظهور الاسلام

قال اسيد بن حضير زعيم الأوس يسأل النبى عليه السلام الا يدع المدينة لعبد الله بن سلول : « يا رسول الله أرفق . فو الله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه . فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا »

فلا جرم أن يكون له غرض اى غرض فى ترويج حديث الافك واتخاذه مطعنا فى الاسلام من وراء الطعن فى كرامة نبى الاسلام . ولهذا لم يلبث أن افلتت منه نيته فظهرت من بوادر لسانه فى الكلمة التى قالها حين مرت به السيدة عائشة على جمل يقوده صفوان بن المعطل ، فقد حكى عنه انه سأل:

من هذه ؟ فقيل : عائشة . قال : امراة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها

وان غرض ابن سلول هذا لهو بعينه غرض كل متشبث بحديث الافك الى يومنا هذا ، ليتخذ منه سبيلا الى الطعن فى الاسلام ونبى الاسلام ؛ وبخاصة بين المبشرين من المستشرقين

فمن هؤلاء من غلب عليه ادب التربية فاستبعد حديث الافك كما فعل موير « Muir » حيث قال بعد الاشارة اليه : « ان سيرة عائشة قبل الحادث وبعده لتوجب علينا أن نعتقد براءتها من التهمة »

ومنهم من نقل الحكاية وخلطها بالمعجزات التى لا يصدقها غير المسلم ، كما فعل واشنطون ارفنج فى سيرة النبى عليه السلام ، فلم يقطع بنفى صريح وترك الباب مفتوحا للأقاويل

ومنهم من جاوز الحقيقة فى وصف ما جاءت به الروايات ، فزعم أن السيدة عائشة ابتعدت عن النبى يوما كاملا قضته فى صحبة صفوان ، خلافا لما جاء فى كل قصة نقلت الينا عن حديث الافك ، ونعنى به ردويل « Rodwell » صاحب ترجمة القرآن حيث عرض لهذا الحديث فى حاشية من حواشيه على سورة النور

وهؤلاء مع هـذا هم اشـد المستشرقين تقية وحذرا فى تعرضهم لهذا الحديث

لكن المبشرين المحترفين لم يتقوا هذه التقية ولم يحذروا هذا الحذر ، بل جزموا بصحة الحديث وقال بعضهم ان محمدا استنزل الآيات فى سورة النور ليحمى سمعة زوجته ويدين الوشاة بالعقاب الذى ورد فى تلك السورة . وجهلهم بالقرآن هو الذى اوقعهم فى تلك الفرية الوضيعة التى يتخبطون فيها على غير علم بمصادرها وموارداها ، فان سورة النساء وهى سابقة لسورة النور قد نصت على الاربعة الشهود فى اثبات الزنا : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسـائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا »

وآخرون من اولئك المبشرين المحترفين رجعوا الى تاريخ الغزوة التى جرى بعدها حديث الافك ليقولوا ان الليلة كانت غير قمراء ، وان البحث عن العقد الضائع فيها عسير . مع ان الاختلاف على سنة الغزوة ـ فضلا عن شهرها وليلتها ـ كثير يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة وما بعدها ، فجاءوا هم واخـذوا بالقـول الذى يعجبهم ويعينهم على فريتهم . وهم حتى فى هـذا مفرضون متعسـفون ، لان ابتداء المسـير الى الغزوة فى الثانى من شعبان لا يمنع ان

الجيش قضى اياما فى ذهابه وايابه ؛ وعاد والليلة قمراء فى صحو البلاد العربية . ولو كان فى الأمر محل اعتراض من هذه الناحية لما فات الذين حضروا الغزوة وشهدوا النور والظلام فى تلك الليلة ؛ وهم قصاص الأثر واصحاب القمر فى الحل والسفر ؛ وفيهم من يحرص على التشهير كحرص هؤلاء المبشرين

ومن الاسفاف ان نتتبع هؤلاء الوشاة فى كل ما خبطوا فيه من اثم وكل ما رجموا به من ظن . كأن أخلاق الناس وحقائق التاريخ رهن بما يتمحلونه ووقف علىما يختلقونه. وما كانت وشاياتهم تلك بحثا يستند الى راى أو ظنا يعتمد على قرينة ، ولكنها كانت كذبا لا يليق بالمؤرخ وسوء نية لا يليق بالانسان، وخسة فىحق امراة شريفة لا تليق بالرجل الكريم

وانما اومانا الى ضروب من تلك الوشايات لنعلم ان الحذر واجب هنا على قدر ضخامة الأغراض التى تخلق الوشاية وتنطلق فى ترويجها الى ايامنا هذه ، والى ما بعد هذه الايام ، ما دام فى الدنيا اناس يستبيحون ان يجترئوا بالشبهات على امراة لا ذنب لها الا أنها زوج نبى يريدون التشكيك فيه

على اننا من الجهة الأخرى نبرىء السيدة عائشة من هذه المظنة ولا نعتمد فى التبرئة الا على الفهم الذى يفهمه المسلم

ومن لا يدين بالاسلام ، ويقبله صاحب الدين ومن لا يأخذ بدين من الاديان ، لان براءتها ليست من الخفاء بحيث لا يقام الدليل الا من وحى السماء

وكفى دليلا هنا ان ليس على الظنة بها أقل دليل

نشأ حديث الافك بعد عودة النبى من غزوة بنى المصطلق، وقد كان مسير الجيش فى عودته من هذه الغزوة مضطربا اشد اضطراب ، لشيوع الفتنة بين المسلمين واتباع عبد الله بن ابى بن سلول رأس المنافقين وزعيم الخزرج اقوى قبائل المدينة ، والرجل الذى جامله النبى عليه السلام كل مجاملة كريمة فلم يقلع عن نفاقه ولم يدع قط فرصة من فرص الكيد والسعاية

ففى طريق العودة من غزوة بنى المصطلق نجم ذلك الخلاف الذى اشرنا اليه على السقاية من بعض الآبار . فصاح صائح : يا للخزرج ! وصاح الآخر : يا لكنانة . يا لقريش ! وشهر الفريقان السلاح فخرج النبى غاضبا لهذه العصبية التى كره أن يحييها الخلاف فى جيشه وسأل : ما بال دعوى الجاهلية ؟ ثم قال : دعوها فانها منتنة

واغتنم عبد الله بن ابى الفرصة فطفق يحضأ فى النار

ويصيح فى كل من لقيه : « ما رايت كاليوم مذلة . والله انى لقد ظننت انى سأموت قبل ان اسمع هاتفا يهتف بما سمعت . اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » حتى قال لأتباعه : « لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم اغراضا للمنايا فقتلتم دونه ـ يعنى النبى ـ فأيتمتم اولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد » الى آخر ما قال وبلغ النبى عليه السلام

وشاع الخبر فأذن النبى عليه السلام بالرحيل فى ساعة لم يكن يرحل فيها لشدة الحر ، وسأله اسيد بن حضير : يا نبى الله ! لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها ؟ فقال : اما بلغك ما قال صاحبكم ! يشير الى كلام ابن سلول

ثم سار الجيش سيرا حثيثا وجعل النبى عليه السلام يضرب راحلته بالسوط فى مراقها ليستعجلها ، وانقضى اليوم وليلته وصدر من اليوم التالى حتى آذنتهم الشمس ، ثم نزل الناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياما

ولما اخذوا فى المسير هاجت ريح شديدة كادت تدفن الركب وخطر لبعض الجند ان عيينة بن حصن ربما اغار على المدينة فى هذه الغاشية لانقضاء مدة الموادعة بينه وبين

المسلمين . فكان هذا من دواعى العجلة واضطراب مواعيد الرحيل

ثم دنا الليل وهم على مقـربة من المدينة فأناخ الركب للراحة وذهبت السيدة عائشـة لبعض شأنها ثم تفقدت عقدها وهى راجعة فاذا به قد انسل منها فحبسها التماسه هنيهة ، ثم عادت الى مكان هودجها فاذا بهم قد احتملوه وهم يحسبونها فيه ، لخفتها . وتهيب الجند الذين يرحلون لها ان ينادوها او يستوثقوا من وجودها

فأقامت حيث هى وظنت انهم سيرجعون اليها لا محالة اذا احسوا غيبتها

وكان صفوان بن المعطل على ساقة الجيش يتخلف عنه ليلتقط ما يسقط من المتاع . وربما كان النبى عليه السلام يعهد اليه ذلك لأنه كان ثقيل النوم فلا يستيقظ حتى يأخذ الجيش فى المسير ، وقد شكته امرأته الى النبى لأنه ينـام ولا يصلى الصبح قبل طلوع الشمس

فكان عليه السلام يعلم ذلك منه ويقول له : اذا استيقظت فصل !

وقـد يحسن هنا ان نوجـه شـكوى امراته الى بعض معانيها . كأنها أرادت بثقل النـوم كناية عن امر آخـر لا تفصح عنه . اذ قيل عن صفوان هذا انه كان « حصورا »

لا يأتى النساء ، وسمع وهو يقسم بعد حديث الافك انه ما كشف عن كتف امراة قط

فلما نهض صفوان ليتبع الجيش فى ساقته راى سوادا على البعد ثم عرف السيدة عائشة فجعل يسترجع ويعيد استرجاعه : انا لله وانا اليه راجعون : انا لله وانا اليه راجعون ... كأنه ينبهها بالاسترجاع لأنه يتهيب التحدث اليها . ثم قرب البعير وقال : أمه قومى فاركبى ، واخذ بزمام البعير يقوده حتى أدرك الجيش فى نحر الظهيرة

حدث هذا وابن سلول لم يفرغ من دسيسته الأولى التى أزعجت الجيش وأوقعت الاضطراب فى حركاته ومواعيد رحيله ومبيته ، فسنحت له فرصة للقيل والقال لا يضيعها الرجل الذى عز عليه أن تنقضى مشاجرة بين اجيرين على الماء دون أن يثير فيها تلك الثائرة الهوجاء ، وراح يقول : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، وأطلق لسانه فى حديث الافك على الطريق وبعد العودة الى المدينة ، عسى أن يوقع بين النبى وأقرب الأصدقاء اليه ابى بكر الصديق ، أو يفلح فى تشكيك المسلمين فى كرامة نبيهم ، أو يقيم بين قومه الخزرج وسائر المسلمين شغبا يقعون فيه عصبية له وانفة من هوانه ، فينتقض أمر الاسلام من اوس وخزرج وانصار ومهاجرين

قالت السيدة عائشة فى بعض ما روى عنها : « وقدمنا المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضـــون فى قول أصحاب الافك ، ووصل الخبر الى النبى والى ابوى ولا اشعر بشىء من ذلك ، وكان يريبنى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى . انما يدخل على فيسلم وعندى أمى تمرضنى . ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذاك الذى يريبنى . حتى خـرجت بعد ما نقهت فخرجت معى أم مسطح وهى بنت خالة أبى بكر.. وعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت : تعس مسطح!.. قلت لها : بئس ما قلت : اتســبين رجلا شهد بدرا ؟ .. قالت : يا هنتاه ! أو لم تسمعى ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فاخبرتنى بحديث أهل الافك . فازددت مرضا على مرضى، ورجعت الى بيتى فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لى دمع ولا اكتحل بنوم . ثم دخل رسول الله وقال بعد ان سلم : كيف تيكم ، فاستأذنته ان آتى بيت ابوى وانا اريد ان اتثبت الخبر من قبلهما . فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوى ودخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وابا بكر فوق يقرأ . فقالت امى : ما جاء بك ؟ قلت لامى : يغفر الله لك. تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ؟ قالت : يا بنية ! هونى عليك . فو الله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر

الا اكثرن عليها ... فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لأمى : ما شأنها ؟ فقالت : بلغها الذى ذكر من شأنها . ففاضت عيناه . وبكيت تلك الليلة والليلة التى بعدها وأبواى عندى يظنان أن البكاء فالق كبدى ... فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله فسلم ثم جلس وتشهد وقال : أما بعد يا عائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا . فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه ... فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه بقطرة، وقلت لأبى : أجب رسول الله ! قال : والله لا ادرى ماأقول . فقلت لأمى : أجيبى . فقالت كذلك والله ما ادرى ... ثم قلت : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم ، فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى . ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى. فو الله لا اجد لى ولكم مثلا الا قول ابى يوسف عليه السلام : فصبر جميل والله المستعان . ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وما كنت اظن أن الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى ... وكنت ارجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها . وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه : ما اعلم اهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على.

والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا فى الاسلام ... فاخذ رسول الله ما كان يأخذه عند نزول الوحى ، فسجى ووضعت له وسادة من أدم تحت راسه ، فلما سرى عنه اذا هو يضحك وانه لينحدر منه العرق مثل الجمان ، فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم وكان اول كلمة تكلم بها : يا عائشة ! اما ان الله قد براك . فقالت امى : قومى اليه . قلت : والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله . وتناول رسول الله درعى فدفعت يده فأخذ ابو بكر النعل ليعلونى بها . فمنعه رسول الله وهو يضحك ويقسم عليه الا يفعل ... »

الا ان النبى عليه السلام قضى فترة من الوقت قبل ذلك وهو فى قلق شديد لا يدرى ماذا يفعل . واستشار الصحابة فقال له عمر بأسلوبه الحاسم : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال : الله تعالى ! قال : افتظن ان الله دلس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . ودعا عليا واسامة بن زيد ليستأمرهما فى فراق اهله . فقال اسامة بن زيد : أهلك يا رسول الله و لا نعلم الا خيرا ، وقال على : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير . وان تسأل الجارية ـ يعنى بريرة ـ تصدقك . فدعا بها وسألها : اى بريرة ! هل رايت من شىء يريبك ؟ قالت : والذى بعثك بالحق ما رايت عليها امرا اغمصه اكثر من أنها جارية حديثة

السن تنام عن عجينها فتأتى الداجن فتأكله . وسأل زينب بنت جحش وهى أحب نسائه اليه بعد عائشة فقالت : أحمى سمعى وبصرى . ما علمت الا خيرا . والله ما أكلمها وانى لمهاجرتها ، وما كنت أقول الا الحق

وفى خلال ذلك كان عليه السلام يتأذى بحديث الافك فخطب المسلمين قائلا : أيها الناس ! ما بال رجال يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ؟ .. ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا ولا يدخل بيتا من بيوتى الا وأنا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى يقولون عليه غير الحق .. فقال أسيد بن حضير : يا رسول الله . ان يكونوا من الأوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فمرنا امرك . فوالله انهم لأهل ان تضرب اعناقهم . فوثب سعد بن عبادة وصاح به كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم . أما والله ما قلت هذه المقالة الا انك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . وهم به أسيد بن خضير وتساور الناس حتى كادت تكون فتنة ، لولا ان ادركهم النبى بحسن توفيقه

▭

هذه خلاصة حديث الافك بحذافيره كما بقى لنا فى مصادره التى يعتمد عليها اليوم كل باحث فى موضوع هذا

الحديث ، كائنا ما كان ظنه بالاسلام أو بالنبى واهله

وفى وسع القارىء ان يعرف قيمة هذه الوشاية من نظرة واحدة ، فهى على التحقيق وشاية لا قيمة لها عند منصف يلمس من ورائها تربة الكيد والوقيعة التى نبتت فيها ، اذ هى تربة وبيئة تنضح بسخائم الخصومة الدينية والسياسية ومساوىء الخبث والكذب والنفاق . وخليق بها أن تبعث الشك فى كل حديث ينبت بين طياتها ولو زعموا له من الاسانيد والشبهات اضعاف مازعموا لهذه الوشاية الواهية. وليس لها من سند ولا شبهة الا ان السيدة عائشة تأخرت فى الطريق هنيهة حين تحرك العسكر على حين فجأة ، وقد كانت الرحلة كلها كثيرة المفاجآت فى مواعيد النزول والرحيل

تلك شبهة لا تكفى للشك فى امراة من عامة المسلمين الخارجين للجهاد فى حضرة نبى الاسلام . اذ لو كانت كل امراة تتأخر فى الطريق تؤخذ بالتهمة فى دينها وعرضها لكانت التهم فى الأعراض أهون شىء يخطر على بال

بل لو تأخرت كل امراة فى الركب غير السيدة عائشة لجاز أن تلحق بها شبهة من هذا التأخير . لأن الركب لم تكن فيه امراة غيرها يهابها الموكلون بهودجها ان ينادوها ليتأكدوا من وجودها ، ولم تكن فيه امراة اخرى تهاب الرقبة من جيش المسلمين كما تهابها وهى زوج النبى وبنت الصديق ، وقد

كان ابوها يحمل راية المهاجرين فى تلك الغزوة بعينها

وعلى الذى يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها ، لأنها تفتقر الى كل دليل والأدلة على ما يناقضها كثير

عليه أن يصدق ان صفوان بن المعطل كان رجلا لا يؤمن بالنبى ولا بأحكام الاسلام

وان يصدق ان السيدة عائشة كانت ـ وهى زوج النبى ـ لا تؤمن به ولا تعمل بدينه

ولا دليل على هذا ولا ذاك

بل الأدلة على ايمان صفوان وايمان عائشة تجرى فى كل سياق وردت لهما سيرة فيه

فصفوان كان مسلما غيورا وكانت غيرته فى حادثة الماء التى تصاول فيها المهاجرون واتباع ابن سلول هى التى عرضته لهجاء حسان بن ثابت ، ولعلها هى التى بغضته الى ابن سلول فتمادى من أجل ذلك فى اتهامه ، وقد حضر الغزوات ومات شهيدا ولم يذكر قط بسوء

والسيدة عائشة آمنت بكل كلمة قالها النبى وحفظتها حفظ من يتبرك بها ولا يغفل عنها . ومن ايمانها بصدق هذه الكلمات انها اشتبكت فى خصومات دامية تثير الحفائظ وتهون عليها أن تحارب خصومها باختلاق الأحاديث التى تزرى

بهم وتبطل دعواهم لو كانت ترتاب فى صدق الاحاديث كلها. ولكنها لم تبح لنفسها قط شيئا من ذلك ولم تذكر حديثا قط على غير وجهه الذى تؤيده الروايات الأخرى . وقد كانت فى طريقها الى وقعة الجمل بعد وفاة النبى بزهاء ثلاثين سنة ، فنبحتها كلاب على مقربة من ماء فى بعض الطريق ، فسألت : اى ماء هـذا ؟ قال الدليل : هو ماء الحـوأب . فاجفلت اجفالة مروعة وصاحت بحيث يسمعها أدلاؤها . انا لله وانا اليه راجعون ، وضربت عضـد بعيرها فاناخت وابت ان تتحول عن مكانها . فلما سئلت فى ذلك قالت : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعرى ايتكن تنبحها كلاب الحوأب ؟ ردونى . ردونى. والله انا صاحبة ماء الحوأب . وما زال الركب مقيما فى ذلك المكان يوما وليلة وهى مصرة على الرجعة وهم يزعمون لها أن الدليل قد اخطأ وان المكان غير المكان الذى تخشاه ، ولم يزل عبد الله بن الزبير يقنعها ويهدىء من روعها وهو ابن اختها واحب الناس اليها وبه تكنى فى أشهر الروايات ، وهى تأبى المسير الا ان تعود الى مكة . حتى أرسلوا اليها من يصيح فى الركب : النجاء . النجاء . قد ادرككم على بن ابى طالب. فاذنت لهم فى المسـير بها وقد اخافتها الصيحـة وخامرها الشك فى كلام الدليل

هذا وليس معها فى الركب من سامعى ذلك الحديث غيرها،

فكيف تغدر بالنبى زوجة تصدقه هذا التصديق ولا تأمن ان ينكشف سرها بوحى من الله ؟

ومن هى تلك الزوجة بعد هذا ؟ هى بنت الصديق الذى لم يوصم بيته بوصمة فى الجاهلية كما قال حتى يوصم بهذه الوصمة الكبرى فى الاسلام ومع نبى الاسلام

ان اقوى الأدلة لا يحسم الشك هنا فضلاعن تلك الوشاية الواهية ويبقى على من يقبلها أن يسأل نفسه بعد هذا : كيف نشأت علاقة صفوان المزعومة ؟ أفى تلك الليلة بعينها ؟ فكيف اجترأ الرجل على مفاتحة ام المؤمنين وهم يتهيبون المناداة عليها فى هودجها ؟ بل كيف تخطر له هذه المفاتحة وهو لا يشك فى ايمانها بزوجها وليس له علم قبل ذلك بخبيئة صدرها ؟ واذا اجترا هذا الاجتراء هوسا منه فكيف يصدق العقل ان امراة النبى وبنت الصديق تكون هكذا لقطة لأول لاقط يصادفها ؟ ان التى تكون كذلك لا يخفى سرها حتى يكشفه حديث الافك ويقتصر الحديث فيه على صفوان

اما ان كانت العلاقة المزعومة قبل ذلك فكيف خفيت بين الضرائب والحساد وقالة السوء من المنافقين ؟ وما اغناهما اذن من المجازفة فى الطريق وعن الكارثة التى تنكشف للجيش كله فى نحر الظهيرة ؟

كل اولئك سخف لا يقبله الا من يفترى بوشاية او بغير

وشاية وسواء فيه منافقو المدينة ومن يصنع صنيعهم من المؤرخين فى العصر الحاضر لانهم لا يؤمنون بنبى الاسلام ، بل هؤلاء انذل واغفل . لانهم يؤمنون بمريم والمسيح وكان عليهم أن يعصمهم عاصم من هذا الايمان

▭

ان تفنيد حديث الافك له موضع من كتابنا هذا لانه حادث فى تاريخ السيدة عائشة له اثر فى الاسلام والشريعة الاسلامية ، وله اثر فى ضميرها لم يفارقها طوال حياتها ، وربما كان له اثر فى موقفها من تاريخ الاسلام ترتبط به ذيوله على نحو من الانحاء ، ولولا ذلك كله لما استحق من المؤرخ كبير التفات